

المقدمة

حيثما قَبِلَ الناسُ الإيمانَ بالسيّد المسيح، فإنَّهم يجتمعون معًا لإنشاء جماعةٍ تضمُّهم. وقد حدثَ هذا بالفعل مع المسيحيّين الأوائل الذين قَبِلوا الإيمانَ بالسيّد المسيح في يوم الخمسين. حيث نقرأ أنَّهم اجتمعوا في بيوت بعضهم بعضًا مواظبين على تعليم الرُّسل والصلوات، وأيضًا لأجل "الشركة" (أعمال الرسل ٢: ٤٢). وبعد ذلك بعددٍ من السنين، نقرأ ما يلي: "وجميعُ الذين آمنوا كانوا معًا، وكان عندهم كلُّ شيءٍ مشتركًا". ليس الإيمانُ أمرًا تمارسه وحدك؛ فاللحظةُ التي تؤمنُ فيها بالسيّد المسيح، تصيرُ عضوًا في جسده، وكذلك عضوًا في عائلةٍ كبيرةٍ وممتدةٍ في كلِّ أرجاء العالم. وتتضمَّنُ تلك العائلةُ شبابًا وشيوخًا، ورجالًا ونساءً، وبيضًا وسودًا، وأغنياء وفقراء. ويرتبطُ كلُّ هؤلاء على اختلافهم بحقيقة أنَّهم استجابوا بالإيجابِ لصوتِ يسوع المسيح، وقبلوا الدعوةَ ذاتها من الله. وهكذا فكلُّ شخصٍ يقبلُ الإيمانَ بيسوع المسيح، يسلمُ حياته لله، وفي المقابل يجعلنا الله نقفُ بعضنا لبعض حتى نتبعَ يسوع المسيح ونطبعه، ونخدم بعضنا بعضًا. وهذان الجانبانِ في المسيحيَّة هما العمودان اللذان تستندُ إليهما كلُّ جماعةٍ مؤمنةٍ بالسيّد المسيح: إكرامُ الله وخدمةُ البشر من حولنا.

وفي ضوء ما قيل، يمكننا أن نرى أنَّ الكنيسةَ مكانٌ نستطيعُ فيه معًا أن نمارسَ الوصايا التي أعطانا إيَّها الله، والتي استخدَمها يسوع المسيح ليختزلَ الشريعةَ كُلَّها: أن تحبَّ الله فوق كلِّ شيء، وتحبَّ قريبك ك نفسك. ونحن نضعُ هذا موضعَ التنفيذ عندما نُكرِّمُ الله في كنائسنا بأن نرتِّم معًا، ونصلي، ونصغي إلى كلمة الله، ونمارسَ المعموديةَ وكسرَ الخبز (المنافسة). كما أننا نمارسُ

هذا في أوقاتٍ أخرى في الكنيسة عندما نقدّم أو نتلقّى تعليمًا عن شخص الله وكيف علينا أن نسير معه، فهذا نُكرّم الله. ونحن نخدمُ بعضنا بعضًا ونخدمُ الناسَ بِاسْمِ يسوع المسيح بأشكالٍ متعدّدة من الرعاية الكنسيّة. إنّنا نشجّع بعضنا بعضًا في الإيمان، ونساعدُ أحدنا الآخر في الأوقاتِ العصيبة، ونشاركُ معًا مواردنا بصورةٍ عمليّة. غير أن خدمة الكنيسة هي أوسع من هذا النطاق؛ فالمطلوبُ أن نخدمَ ليس فقط بعضنا بعضًا، بل أيضًا كلَّ مَنْ نقابله. ويجب علينا أن نقومَ بذلك بِاسْمِ يسوع، مقدّمين شهادةً عنه؛ فهو الذي يقودنا في كلِّ هذا.

يتناولُ هذا الكتاب الخامس ضمن "سلسلة الراعي" موضوعَ تنظيم كنيسة المسيح. إذا كانت لديك دعوة قيادة كنيسة بصفة راعٍ، فمن المهمّ لك أن تعرفَ مبادئ الكتاب المقدّس التي ينبغي أن تُطبّق في الكنيسة، والكيفيّة التي يريدُ بها الله لكنيسته أن تعمل. عندما أسدى يثرون بنصيحة إلى نسيبه موسى بشأن كيفيّة قيادة الشعب العبرانيّ في البريّة، كانت كلماته الأخيرة في تلك النصيحة ما يلي: "وأنتَ تنظرُ من جميع الشعب ذوي قدرةٍ خائفينَ الله، أمناءُ مبغضين الرّشوة، وتقيّمهم عليهم رؤساءُ الوُف، ورؤساءُ مئآتٍ، ورؤساءُ خماسين، ورؤساءُ عشرات" (خروج ١٨ : ٢١). وهكذا قدّم يثرونُ بهذه الكلمات ليس فقط نموذجًا يقودُ به موسى الشعبَ العبرانيّ، بل أيضًا نموذجًا لنا نقودُ به كنيسة المسيح. وهدفُ تنمية الكنيسة هو ليس أن نجعلَ كنائسنا أكبرَ ما يمكن، بل هدفها أن تحملَ الكنيسة ثمرًا. في يوحنا ١٥ : ٨، يقول يسوع المسيح لتلاميذه: "بهذا يتمجّدُ أبي: أن تأتوا بثمرٍ كثيرٍ فتكونونَ تلاميذي". ويحملُ الإتيانُ بثمرٍ دائمًا معنىً مزدوجًا: أن ننمّي أنفسنا ونزدهرَ لئُكرّمَ الله، وأيضًا أن نتشاركَ مع الآخرين ما نقبله من عطايا الله، وبهذا أيضًا يعيشُ أولئك ليُكرّموا الله. إنّ الكنيسةَ هي المكانُ الذي نقبلُ فيه من الله ما نحتاجُ إليه لنتمتّع بعطايا الله، ونمرّها إلى الآخرين أيضًا ليتمتّعوا بها.

أميرزفورت (Amersfoort)، هولندا

خريف ٢٠١٥م

الفصل الأول

ما معنى الكنيسة؟

هي جسد المسيح

تبدأ تنمية الكنيسة بالرجوع إلى شكل الكنيسة بحسب الكتاب المقدس. سنكتشف هذا الشكل إذا نظرنا إلى الصورة التي استخدمها الكتاب المقدس ليصف الكنيسة. أحياناً يشير بولس الرسول إلى الكنيسة على أنها عروس المسيح (أفسس ٥ : ٣٢)، وأنها عائلة فيها تكون إخوة وأخوات لله أبينا (٢ كورنثوس ٦ : ١٨)، وأنها أيضاً بيت لله شيد من حجارة حية (١ بطرس ٢ : ٥).

أما الصورة المستخدمة أكثر الكل في الكتاب المقدس لوصف الكنيسة فهي أنها جسد. في ١ كورنثوس ١٢ : ١٢-٢٧، يتكلم بولس الرسول عن هذه الصورة أكثر من غيرها. فالمسيح هو الرأس، وهو من يقود الكنيسة (أفسس ١ : ٢٢-٢٣ و ٤ : ١٥-١٦). ونحن أعضاء الكنيسة المنتمون إليها في هذا الجسد. ونحن نختلف بعضنا عن بعض، ومع ذلك نحن مرتبطون معاً ارتباطاً وثيقاً. فاليد والقدم لا تستغنيان بعضهما عن بعض، وكلاهما تخضعان لسيطرة الرأس. وهكذا إذا كانت الكنيسة هي جسد المسيح على الأرض في الحاضر، وكل كنيسة محلية هي عضو في الجسد الواحد (١ كورنثوس ١٢ : ٢٧)، فهذا يعني أن الكنيسة مدعوة لتعمل في عالمنا الحاضر ما فعله يسوع المسيح عندما سار على أرضنا. علينا أن نخدم الله كما

خدمَ يسوع المسيح، وأن نتعلم رؤية الأمور بالطريقة التي رآها بها، ونصغي كما أصغى هو، ونذهب إلى حيث ذهب هو ونقوم بما فعله. على الكنيسة أن تعيش على الأرض متبعة المثال الذي وضعه يسوع المسيح. إن الكنيسة هي ممثلة يسوع الآن، ورأسنا المسيح في السماء، غير أن علينا أن نكون يديه ورجليه هنا على الأرض. ياله من امتيازٍ وبإلهامٍ من مهمة!

معاونة الكنيسة

ينبغي إذاً أن تعيش الكنيسة على الأرض كما عاش يسوع المسيح عندما كان على الأرض. ويعني هذا أن على الكنيسة أن تتبع الدرب ذاته الذي ساره يسوع - الدرب من الصليب إلى التاج. فكوننا كنيسةً يعني أن نعيش تحت الصليب. علينا أن نتبع المسيح حاملين صليبنا كما فعل سمعان القيرواني (لوقا ٢٣: ٢٦). لقد أتى سمعان إلى القدس في أيامه ليعبد الله، أما نحن فقد دُعينا لنخدم الله بأن نحمل الصليب. ويتضمن اتباع الكنيسة للمسيح معنى حمل الصليب "وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي" (متى ١٠: ٣٨). ويعني هذا أن نتحد مع معاونة المسيح، وقد قال يسوع نفسه: "...ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدوني فسَيُضْطَهِدُونَكُمْ..." (يوحنا ١٥: ٢٠). وينطبق هذا ليس فقط على أفراد من أتباع يسوع، بل أيضاً على كل الكنيسة. ويقول يسوع إن الكنيسة ستعرض لهذه المعاونة "إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شَرِّيرَةٍ، مِنْ أَجْلِي، كَاذِبِينَ" (متى ٥: ١١). وللاضطهاد أوجه عدة؛ فقد يعني السجن أو حتى التعذيب حتى الموت بسبب إيمان المرء بيسوع المسيح. وقد يأخذ أحياناً أشكالاً أقل وطأة، أو شكلاً قانونياً، أو قد يتضمن شكلاً من التحرش أو السخرية. وتختبر كل كنيسة المسيح حال ألا تكون مقبولة في هذا العالم، بغض النظر عن أشكال التعبير عن مثل هذا الرفض. وبحسب ما قال يسوع المسيح: "لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ" (يوحنا ١٥: ١٩). وهكذا فالكنيسة تكون حقاً كنيسة

المسيح إذا عرفت هذا النوع من المعاناة، التي تتضمن ألم أن نكون غرباء ومنبوذين في المجتمع، كما يعني أن يساء فهمنا ونواجهه بالكراهية.

إلا أن هذا ليس نوع المعاناة الوحيد الذي تتعرض له الكنيسة؛ فنحن، كنيسة المسيح، نعاني أيضًا جراء هذا العالم المحطم الذي نعيش فيه، ونردد في صلاتنا الكلمات التي رفعها أحد القادة المسيحيين: "يا رب، اجعل قلوبنا تنفطر بسبب الأمور التي تفتقر قلبك". فالكنيسة إذا تعاني تحت معاناة هذا العالم، وهي تنضم إلى الخليقة في أبنيتها (رومية ٨: ٢٢-٢٣). وهذا نوع من المعاناة المتعاطفة، ويعني البكاء على أمور تحدث من حولنا، تمامًا كما بكى يسوع على مدينة القدس.

الشكل الثالث من المعاناة الذي تختبره الكنيسة هو معاناة العيش تحت الشر والخطية السائدين في هذا العالم. ترى الكنيسة هذا الشر، وتشير إلى الخطية، وتصلي لأجل غفران أولئك الذين يخطون بحق الآخرين أو حق أنفسهم. إنها المعاناة جراء الشر تمامًا كما عانى يسوع المسيح على الصليب لما صلى: "...يا أبتاه، اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون..." (لوقا ٢٣: ٣٤). وكذلك صلى استفانوس، شهيد المسيحية الأول، إلى مخلصه: "...يا رب، لا تقم لهم هذه الخطية..." (أعمال الرسل ٧: ٦٠).

وهناك شكل رابع من المعاناة يحدث عندما تعاني الكنيسة جراء خطايا أعضائها. فنحن، المؤمنون بالمسيح، نعرف أن يسوع كسر شوكة الخطية على الصليب، وهكذا فنحن أحرار وقادرون على العيش دون أن تسيطر علينا الخطية. في الوقت نفسه، نحن نتشارك بولس الرسول اختباره عندما قال: "لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل". وتتضمن المعاناة تحت وطأة خطايانا، نحن الكنيسة، الافتقار إلى الوحدة بين أعضاء الكنيسة الواحدة، وكذلك بين الكنائس الأخرى. وهكذا بتنا نلاحظ الافتقار إلى الوحدة التي تاق يسوع المسيح إليها كثيرًا لما صلى لأجلها (يوحنا ١٥ و١٧)، وصارت

مصالحنا الشخصية أولويةً على ما يريده السيد المسيح. وطوبى للكنيسة التي تحزن على غياب الوحدة؛ لأنها ستسمو فوقه وستجاوزته بكل تأكيد.

وهكذا فإنَّ دربَ الكنيسة في الحياة هو كالدرب الذي ساره المسيح لما عاش على الأرض: درب الصليب. والكنيسة التي لا تعاني هي ليست كنيسة بتاتا. لقد حقق يسوع الانتصار، غير أنَّ التحرير الكامل لن يكون لنا إلى أن يعود. وحتى ذلك الحين، تنضم الكنيسة إلى الرسول بولس في قوله: ”لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، مُتَشَبِّهًا بموته، لعلِّي أبلغ إلى قيامة الأموات“ (فيلبي ٣: ١٠-١١). نحن نعلم أنَّ الغلبة ستكون للموت يسوع المسيح، لكنَّ إلى أن يحين ذلك، سنُعاني من أجل المسيح ونتنظر ”...أكثرَ من المراقبين الصُّبح“ (مزمو ١٣٠: ٦).

اتجاهان للكنيسة

تعاني الكنيسة وتنتظر بشوق عودة السيد المسيح. وفي أثناء ذلك، نحن لا نجلس مكتوفي الأيدي، بل نتابع تتميم مأموريتنا. فبينما تعاني الكنيسة في عالم محطّم، لدينا نحن أعضاء الكنيسة، مأمورية ثنائية الجانب: أن نحبَّ الله فوق الكلِّ، ونحبَّ قريبنا (الناس من حولنا) كأنفسنا. ويعني هذا أنَّ الكنيسة تتحرَّك في اتجاهين: داخليَّ بعبادة الله وإكرامه، وخارجيَّ بخدمة الآخرين من حولنا والشهادة لهم.

وقد صاغ بطرس الرسول هذا الموقف قائلاً: ”وأما أنتم فيجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب“ (١ بطرس ٢: ٩). بهذا تتألف الكنيسة من شعب الله الذين اختارهم وأفرزهم عن الآخرين (قدسهم)، ودعاهم من ظلمة حياة تسودها الخطيئة. ولهذا السبب يشير الرسول بطرس في رسالته إلى المؤمنين بالمسيح على أنَّهم متغربون (١ بطرس ١: ١). إننا نعيش على الأرض،

لكننا في الواقع لا ننتمي إليها، بل ننتمي إلى يسوع المسيح وملكوته. وإلى أن يأتي ملكوته، نحن غرباء في هذا العالم. لذلك ليس هدفنا الوحيد أن نكون ناجحين في العالم، بل أن نكرم الله ونخدم قريبتنا. غير أن الله يرسل إلى العالم الناس ذاتهم الذين دعاهم من العالم لإعلان تسيبحة. يريد الله ليس فقط أن يخلص أولئك المدعوين ليكونوا أعضاء في كنيسته، بل يريد أيضًا أن يستخدمهم لتمتد تلك الدعوة وتصل كذلك إلى الآخرين. وهنا تحضرنا الآية في يوحنا ٣: ١٦: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية". هذه هي الرسالة والدعوة التي ينبغي للكنيسة أن توصلها إلى كل من يريد أن ينصت إليها.

عندما تكلم الرسول بطرس بإعلان تسيبح الله، كان أبرز ما أشار إليه هو حقيقة أن الله يحبنا جدًا، حتى إنه كان مستعدًا ليبذل كل شيء ليستردنا إلى حضوره الأبدي. لذا فالرسالة التي تحملها الكنيسة إلى العالم هي رسالة إلى الخطاة، وطريقة مختلفة جذريًا في العيش مع الله. إننا مختارون، وسبق لنا أن قبلنا نعمة الله، غير أنه لم يقصد لنا أن نحتكر هبات الله لأنفسنا، بل يريدنا الله أن نتشاركها مع الآخرين. الكنيسة هي أشبه بفريق إنقاذ مؤلف من أشخاص سبق أن نالوا النجاة سابقًا، والآن هم مدعوون ليخبروا الآخرين بأن في وسعهم أن يختبروا ما اختبروه هم أنفسهم: الخلاص، والحياة الجديدة، ومحبة الله لهم. إن الكنيسة هي جماعة من المخلصين لديهم مهمة أن يخرجوا ويكرزوا بالخلاص للآخرين.